مائة صورة من الحياة

للأستاذ على الطنطاوى

٦ — رطل عنب

كان عندنا منذ أسبوع عمال أنفذهم صاحب المنزل ليصلحوا شيئاً فى الدار . وابتغاهم من الأرمن ولم يسمع نصيحتى اليه بأن يستبدل بهم عمالاً من أهل البلد ، وتعلل على بأن هؤلاء أجود عملاً ، وأقل كلفة . ولقد وجدتهم والله كما قال : عملوا فى اليوم ما لا يعمله غيرهم فى الثلاثة ، فكنت أرقبهم وأدرس طبائعهم فما أنكرت منهم شيئاً حتى أظهر الظهر وزال النهار ، فقطعوا العمل ، وقعدوا يأكلون ويستريحون ، فلم يجدوا العنب ، والعنب الأحمر فى الشام قوام حياة العامل لقلة ثمنه ، وكثرة فائدته ، وإن من يأكله إنما يأكل الصحة والقوة ثمراً شهياً ، فبعثوا أحدهم ،

٣ — لا بد من جنون أيها العقلاء !

ولكن أيضاً ...

لا بد من جنون أيها العقلاء لندرك !

لا بد أن نصر على هذا النداء :

أمسكى الماء أيتها الغرابيل ... اقبضى على الريح أيتها الأصابع.

امضغى الهواء أيتها الأضراس ... أدلى الدلاء إلى السراب أيتها الأيدى ... اطحنى القرون أيتها الطواحين ...

٤ — الأعمى والمرآة

— وهذا الاصرار هو أمانىّ أعمى ينظر فى مرآة ! ليرى فيها خيوط ضوء من أفق مجهول يقع على وجهه المجهول لديه الخالد فى الظلام بخلود أقفال عينيه !

إنه يتعزى بأن المرآة هي التى تراه ... فاعذروه واتركوه يقلب وجهه فيها ...

عبد المنعم خلوف

بقروش ليشترى لهم رطلا ، ولبثوا ينتظرون ... فمضى ربع ساعة وربع آخر ، وربع ثالث ، ولم يحضر ، ثم جاء يلهث من التعب ، فلم أتمالك أن صحت به :

— أين كنت ياهذا ؟ أرحلت فى طلب العنب ، والعنب ملء الأسواق ؟

— قال : لقد اشتريته من (البرامكة) ؟

— قلت : من البرامكة ؟ على مسافة كيلين اثنين ؟ ولم هذا العناء ؟ ...

— قال : لم أجد بائعاً أرمنياً إلا هناك !! ...

٧ — أبوه !

أخبرنى صديق لى من جلة العلماء ، قال :

كنت أتولى المدرسة الخيضرية ، وهى من المدارس القديمة فى دمشق ، فجاءنى ذات يوم شيخ هرم عليه ثياب أخلاق ، وعمة بالية ، فأقبل على استحياء يسألنى عملا فى المدرسة وظيفته خمسة أرغفة فى اليوم . فأعطيته الذى يريد ، ولم أسأله عن نفسه حتى مرت أيام ، فخبرنى أن له ابناً ، ولكن ابنه يمرض عنه وينكره ، فعجبت من ذلك وقلت له : من هو ابنك ؟

— قال : فلان !

فلما سمعت الاسم صمقت ، وعدت أسأله :

— فلان ؟ الأستاذ الكبير ، صاحب الشهادات الكبرى من أوربا ..؟

— قال : نعم ، هو والله ابنى . ولقد أنفقت عليه مالى وشبابى ، فلما صار شيئاً ، جزانى شر جزاء ، وجعل مكافأتى الانكار والاحتقار ، واضطرنى إلى سؤال الناس وإراقة ماء وجهى فى رغيف من الخبز

فقلت : أنا أكلم ابنك ، فهو صديقى ...

قال : لا ، لا تفعل سألتك بالله . . . فانه ان عرف أنى خبرتك ضربنى وآذانى . لقد حرم علىّ أن أنبىء أحداً أنى أبوه !

قال صديقى الأستاذ : هذا والله ما كان ، ما زدت فيه حرفاً ولا نقصت ! ...

«دمشق»

على الطنطاوى